

نصح الفضلاء

بعدم

الإصغاء لأهل الأهواء

تأليف

أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

فإن أهل الباطل لهم أساليب في الشر تشبه أساليب إبليس اللعين، وربما أتوا لأهل الحق في صورة الناصحين، كما قال الله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢١].

فأدرت في هذا البحث المختصر التنبيه على ما ذكرت.

والمسألة قد تلبس في أناس أو شخص قد انحرف يسعى بالفتنة ويظنه أهل الحق، أو بعض من لا دراية عنده و أو قليل فهم أنه ما زال على ما هو عليه من الخير - فيما كان يبدو للناس -.

وهو قد انحرف يقلب الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل.

عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْقَاسِمِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا كَانَ عَبْدٌ عَلَى هَوَى فَتْرَكَهُ إِلَّا إِلَى مَا هُوَ شَرُّ مِنْهُ.

قَالَ: فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا، فَقَالَ: تَصَدِيقُهُ فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَمُرُّ قَوْمٌ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إِلَى فَوْقِهِ». رواه ابن وضاح في البدع برقم (١٤٣) وهو أثر حسن.

أما الحديث المرفوع فصحيح عن جماعة من الصحابة.

ولأن المعتزلة في أول أمرهم إنما اعتزلوا مجلس الحسن البصري ثم انظر أين صاروا! وإلى أين وصلوا.

قال الشيخ حافظ حكيم رحمه الله في معارج القبول بشرح سلم الوصول (٧١٣/٢):
وَلَا ذَنْبَ لِلنُّصُوصِ وَمَا نَقَمَ مِنْهَا إِلَّا أَنَّهَا خَالَفَتْ هَوَاهُ وَصَرَّحَتْ بِنَقْضِ دَعْوَاهُ وَسَدَّتْ عَلَيْهِ بَابَ مَغْرَاهُ وَأَوْجَبَتْ عَلَيْهِ نَبَذَ أَقْوَالِ شُيُوخِهِ وَهَدَمَتْ عَلَيْهِ مَا قَدْ بَنَاهُ، وَالْزَمَتْهُ بِاطِّرَاحِ كُلِّ قَوْلٍ غَيْرِ مَا قَالَهُ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ ﷺ، وَنَادَتْ عَلَيْهِ بِأَبْلَغِ صَوْتٍ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. اهـ

وقد كتبت هذا نصحاً لمن وفقه الله من أهل الخير والعلم والسنة، وبراءة للذمة، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَّا إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

كتبه: أبو عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري
اليمن الميمون، المهرة، دار القرآن والحديث بحصوين
الرابع من شهر شعبان سنة أربعين وأربعمائة وألف.

تتبع أهل الأهواء للمتشابه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ». رواه البخاري برقم (٧١٨٨) ومسلم برقم (١٣٣٧).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ». رواه مسلم برقم (٢٦٦٦).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مِرَاءٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ». رواه أحمد (٢/ ٢٥٨ و ٢٨٢) وأبو داود برقم (٤٦٠٣) والآنجري في الشريعة برقم (١٤٠) وهو صحيح.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ». رواه مسلم برقم (١٧١٥).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ

عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ».

رواه البخاري برقم (٤٥٤٧) ومسلم برقم (٢٦٦٥).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

رواه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ؛ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسةِ، قَالَ: «تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ».

رواه مسلم برقم (١٣٣).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟».

رواه البخاري برقم (٧٢٩٦) ومسلم برقم (١٣٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ».

رواه البخاري برقم (٣٢٧٦) ومسلم برقم (١٣٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟»

قَالَ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ، فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ، أَوْ قَالَ: سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي. رواه مسلم برقم (١٣٥).

أهل الأهواء أهل خصومات

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَكْذُ الْخَصِمُ».

رواه البخاري برقم (٢٤٥٧) ومسلم برقم (٢٦٦٨).

عن أبي العالية الرياحي قال: تعلموا الاسلام، فإذا علمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الاسلام، ولا تحرفوه يميناً وشمالاً، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ وأصحابه قبل أن يقتلوا صاحبهم، وقبل أن يفعلوا الذي فعلوا.

لقد قرأت القرآن قبل أن يقتلوا صاحبهم وقبل أن يفعلوا الذي فعلوا خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأمور التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء.

رواه معمر في الجامع المطبوع في آخر مصنف عبد الرزاق (٣٦٧ / ١١) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢١٤ و ١٧)، وهو صحيح.

قال معمر في الجامع (١٢٥ / ١١): كنت عند ابن طاووس وعنده ابن له إذ أتاه رجل يقال له صالح يتكلم في القدر، فتكلم بشئ فنبه، فأدخل ابن طاووس إصبعيه في إذنيه، وقال لابنه: أدخل أصابعك في أذنيك واشدد، فلا تسمع من قوله شيئاً، فإن القلب ضعيف.

صحيح.

أهل الأهواء أصحاب جدل

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج: ٣]
وقال الله جل في علاه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه
إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:
٥٨]. رواه أحمد (٢٥٢/٥ و ٢٥٦) والترمذي (٣٢٥٣) وابن ماجه (٤٨) وهو حسن.

وعن مسلم بن يسار أنه كان يقول: إياكم والمرء فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي
الشیطان زلته. رواه الدارمي (٤١٠) والآجري في الشريعة برقم (١١٢)، وهو صحيح.
وعن أبي قلابة كان يقول: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن
يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٤)، والدارمي في المقدمة (٤٠٥) واللالكائي في شرح
أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢٤٣ و ٢٤٤) وهو صحيح.

وعن معاوية بن قره قال: الخصومات في الدين تحبط الأعمال.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٥)، وابن بطة في الإبانة برقم (٥٦٣) واللالكائي في
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢٢١).

وعن عمر بن عبد العزيز قال: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.
رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٦)، والدارمي في المقدمة (٣١٢) واللالكائي في شرح
أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢١٦) وهو صحيح.

وعن معن بن عيسى قال: انصرف مالك بن أنس يومًا من المسجد، وهو متكئ على يدي
فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية كان يتهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني
شيئًا أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي قال: فإن غلبني؟ قال: إن غلبتك اتبعتني قال:
فإن جاء رجل آخر، فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه قال مالك رحمه الله: يا عبد الله، بعث الله
عز وجل محمدًا صلوات الله عليه وآله وسلم بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين قال عمر بن عبد العزيز:
من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل .

رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٧) وهو حسن.
وعن هشام بن حسان قال: جاء رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد، تعال حتى
أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أضللت دينك
فالتمسه .

رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٨)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢١٥٠)
وابن بطة برقم (٥٨٦) وهو صحيح.

وعن حماد بن مسعدة قال: كان عمران القصير يقول: إياكم والمنازعة والخصومة،
وإياكم وهؤلاء الذين يقولون رأيت رأيت .
رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٩) وهو حسن.

وعن سلام بن أبي مطيع: أن رجلاً من أصحاب الأهواء قال لأيوب السخيتاني يا أبا بكر؟ أسألك عن كلمة قال: فولى أيوب، وجعل يشير بإصبعه: ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة. رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٠) وهو صحيح.

وعن أسماء بن خارجة قال: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا، لتقومن عني أو لأقومن.

وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢١)، وابن بطة في الإبانة (٣٩٨) والدارمي في المقدمة (٤١١) واللالكائي (٢٤٢) وهو صحيح.

وعن عبد الكريم الجزري قال: ما خاصم ورع قط في الدين.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٣) وهو حسن.

وعن عمرو بن قيس قال: قلت للحكم: ما اضطر الناس إلى الأهواء؟ قال: الخصومات. رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٤)، واللالكائي (٢١٨) وهو صحيح.

وعن طاوس، أن رجلاً قال لابن عباس: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم قال: فقال ابن عباس: الهوى كله ضلالة.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٦)، ومعمر في الجامع المطبوع في آخر مصنف عبد الرزاق (١٢٦/١١) واللالكائي برقم (٢٢٥) وهو صحيح.

وعن الأوزاعي قال: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول. رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٧) وهو صحيح.

وعن محمد بن واسع قال: رأيت صفوان بن محرز وأشار بيده إلى ناحية من المسجد، وشبهة قريب منه، يتجادلون، فرأيتهم ينفض ثوبه وقام وقال: إنما أنتم جُرْبُ إنما أنتم جُرْبُ. رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٨) وهو صحيح.

وعن أيوب أنه قال: لست براد عليهم، أشد من السكوت.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٢) صحيح.

وعن ابن عباس قال: لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٣) وابن بطة في الإبانة برقم (٦١٩) وهو حسن.

وعن مهدي بن ميمون قال: سمعت محمداً يعني ابن سيرين: وماراه رجل في شيء فقال محمد: إني أعلم ما تريد، وأنا أعلم بالمرء منك، ولكني لا أماريك.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٤)، وابن بطة في الإبانة برقم (٦٢٢-٦٢٣) وهو صحيح.

وعن يحيى بن أبي كثير قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره .

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٥)، واللالكائي برقم (٢٥٩) وهو صحيح.

وعن أبي قلابة أنه كان يقول: إن أهل الأهواء أهل الضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار . رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٦) وهو صحيح.

وعن أبي قلابة قال: ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٨)، والدارمي في المقدمة برقم (١٠٠) واللالكائي برقم (٢٤٧) وهو صحيح.

علامات أهل الأهواء

عَنْ أَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُحَيْيٍّ، قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَامَ حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ.

وإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ».

وَاللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أُخْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ. رواه أحمد برقم (١٦٩٣٧) وهو حسن.

الأول: أن يكون جهميًّا أو معتزليًّا أو صوفيًّا أو رافضيًّا ونحو ذلك من الضلالات الظاهرة.

الثاني: أن يكون حزيًّا.

الثالث: أن ينتمي لفرقة من هذه الفرقة الضالة يوالي ويعادي من أجلها.

الرابع: أن يرد حكم الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ [النور: ٤٧ - ٥٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة (١/ ٢٥٤):

وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ يَعْدُونَ كُلَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الشَّرِيعَةِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَيَجْعَلُونَ أَهْلَ الْبِدْعِ هُمْ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَيَذْمُونَهُمْ بِذَلِكَ وَيَأْمُرُونَ بِالْأَبْيَادِ يَغْتَرِبُهُمْ وَلَوْ أَظْهَرُوا مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْكَلَامِ وَالْحِجَابِ أَوْ الْعِبَادَةِ وَالْأَحْوَالِ مِثْلَ الْمَكَاشِفَاتِ وَخَرَقَ الْعَادَاتِ كَقَوْلِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى قُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ تَدْرِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا كَانَ يَقُولُ فِيهِ صَاحِبُنَا أُرِيدَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرِهِ كَانَ يَقُولُ لَوْ رَأَيْتَهُ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ لَا تَثْقُ بِهِ وَلَا تَعْبَأُ بِهِ وَلَا تَكَلِّمُهُ قَالَ الشَّافِعِيُّ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا قَصُرَ. اهـ

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق المرسلة (ص ٦٠٢):

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِتِّبَاعَ هُوَ الْأَخْذُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي صَحَّتْ عَنْهُ وَالْخُضُوعُ لَهَا وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَجَدْنَا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ بِمَعْزِلٍ عَنْ ذَلِكَ! فَهَذِهِ عَلَامَةٌ ظَاهِرَةٌ وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ يَشْهَدُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ بِاسْتِحْقَاقِهَا، وَعَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا.

قُلْتُ: وَلَهُمْ عَلَامَاتٌ أُخْرَى:

وَمِنْهَا: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَتَرَكُونَ أَقْوَالَ النَّاسِ لَهُمْ، وَأَهْلَ الْبِدْعِ يَتَرَكُونَهَا لِأَقْوَالِ النَّاسِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَعْرِضُونَ أَقْوَالَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ فَمَا وَافَقَهَا قَبْلُوهُ وَمَا خَالَفَهَا طَرَحُوهُ، وَأَهْلَ الْبِدْعِ يَعْرِضُونَهَا عَلَى آرَاءِ الرِّجَالِ، فَمَا وَافَقَ آرَاءَهَا مِنْهَا قَبْلُوهُ وَمَا خَالَفَهَا تَرَكُوهُ وَتَأَوَّلُوهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَدْعُونَ عِنْدَ التَّنَازُعِ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَيْهَا دُونَ آرَاءِ الرِّجَالِ وَعُقُولِهَا وَأَهْلَ الْبِدْعِ يَدْعُونَ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَى آرَاءِ الرِّجَالِ وَمَعْقُولَاتِهَا... إلخ.

الخامس: العصبية للجنس أو اللون:

قال شيخ الإسلام في قاعدة في المحبة (ص ١٩):

لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم فصاحبه ممن اتبع هواه بغير علمقال الإمام الشافعي رحمه الله: من أظهر العصبية والكلام ودعى إليها فهو مردود الشهادة ولأن يلقي العبد ربه عز وجل بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء.

انظر الحجة في بيان المحجة (١ / ٩١).

السادس: رد الحق وعدم قبوله:

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقال الله سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنَبِّهِينَ﴾ [الأعراف: ٧١].

وقال جل وعلا: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

وعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ حَدَّثَ حَدِيثَهُ الطَّوِيلَ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَآخِرُجٌ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ فَطْرًا أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»... الحديث. رواه البخاري برقم (٤٤١٨) ومسلم برقم (٢٧٦٩).

السابع: محاربة أهل الحق ومحاولة صد دعوتهم:

قال الشيخ محمد أمان الجامي في الصفات الإلهية (ص ١٢٥):

والموقف كما وصفه الكاتب جِدُّ حرج، إلا أن الله ثبت الشيخ على الدعوة على الرغم من كل العقبات والصعوبات التي واجهته الدعوة، وحاولت إيقافها من الداخل في أسرته قبل أن يتبينوا الأمر، ومن الخارج من المغرضين أصحاب الأهواء، ولكن الله سلم، فلم تقف الدعوة منذ بدأت بل استمر الشيخ يجاهد بلسانه وقلمه صابراً محتسباً. وكان والده ممن نازعه في أول الأمر وكذلك أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، ولكن بعض المصادر أثبتت اقتناعهما بالدعوة أخيراً والرجوع إلى الحق.

ولما تكرر إيذاؤه (بحريماً) وأراد بعض السفهاء أن يفتكوا به، غادر الشيخ (حريماً) إلى بلده ومسقط رأسه (العينية)، وكان يحكمها آنذاك (الأمير عثمان بن حمد بن مَعْمَر) ، فرحب بالشيخ وبدعوته.

ونصحه الشيخ كثيراً ليصبر ويحتسب، لأنه لا بد أن يؤذى وشرح له دعوته، وأنها قائمة على الكتاب والسنة، وأنها تعني أول ما تعني تطهير العقيدة والأخلاق، وتصحيح الأحكام، وأن القائمين على هذه الدعوة لا يريدون إلا وجه الله، والثواب في الدار الآخرة من الله وحده. اهـ

الثامن: الكذب: لا سيما على أهل الحق لتشويههم واتخاذ الكذب وسيلة للدعوة:

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٧٩):

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَنَحْوُهُمْ: فَيَعْتَمِدُونَ عَلَى نَقْلِ لَا يُعْرَفُ لَهُ قَائِلٌ أَصْلًا لَا ثِقَةً وَلَا مُعْتَمَدًا. وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَهُمُ الْكَذِبُ الْمُخْتَلَقُ.

وَأَعْلَمُ مَنْ فِيهِمْ لَا يَرْجِعُ فِيمَا يُنْقَلُهُ إِلَى عُمْدَةٍ بَلْ إِلَى سَمَاعَاتٍ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَالْكَذَّابِينَ
وَرَوَايَاتٍ عَنِ أَهْلِ الْإِفْكِ الْمُبِينِ. اهـ

وقال شيخنا مقبل رحمه الله في رسالة التصوير (ص ٣):

لأن الحزبية قامت على الكذب والخداع والتليس. اهـ

التاسع والعاشر: الخداع والتليس، تقدم النقل عن شيخنا مقبل رحمه الله فيه.

الحادي عشر: بناء الأحكام على حدس وظنون كاذبة، وتأويلات فاسدة:

قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾
[النجم: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج ٣].

الثاني عشر: شهادة الزور:

نبغت نابغة عصرية جديدة يشهدون الزور لأصحابهم بالباطل، وهذا ما لم نكن نعرفه في
أهل البدع المتقدمين، وإلا الخطابية، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الثالث عشر: تقديم الهوى على الهدى:

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ
الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

قال الشاطبي في الاعتصام (٢/ ٦٨٣):

ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك.

قال الإمام الشاطبي في الاعتصام (١/ ٦٨):

وَالْمُبْتَدِعُ قَدَّمَ هَوَى نَفْسِهِ عَلَى هُدَى رَبِّهِ، فَكَانَ أَضَلَّ النَّاسِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنََّّهُ عَلَى هُدًى.

قال ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص ٢٩٣):

ولم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم ويخوفون فتنتهم ويخبرون بخلاقهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعنا عليهم. اهـ

خصومات المبطلين تؤول بأصحابها إلى الهوى

قال الله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢١ - ٢٤].

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ: مَا حَمَلَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ عَلَى هَذَا؟

قَالَ: «الْخُصُومَاتُ». رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (١٠٦) والآجري في الشريعة برقم (١٢٤) وهو صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٥):

واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء؛ تجده من هذا الضرب، وهو: أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبته، أو في بعضه مخطئاً في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئ كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئاً في نفي حرف غيره؛ فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في

الإثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يشبهه أيسر من إحاطته بما ينفيه ولهذا نهيت هذه الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض؛ لأن مضمون الضرب: الإيمان بإحدى الآيتين والكفر بالأخرى - إذا اعتقد أن بينهما تضادا - إذ الضدان لا يجتمعان. اهـ

قال الإمام ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (٢/ ٧٨٢):

وَأَكْثَرُ الْإِخْتِلَافِ الَّذِي يُتَوَلَّى إِلَى الْأَهْوَاءِ بَيْنَ الْأُمَّةِ - مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَكَذَلِكَ إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَاسْتِبَاحَةِ الْأَمْوَالِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ؛ لِأَنَّ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ لَا تَعْتَرِفُ لِلْأُخْرَى بِمَا مَعَهَا مِنَ الْحَقِّ، وَلَا تُنْصِفُهَا، بَلْ تَزِيدُ عَلَى مَا مَعَ نَفْسِهَا مِنَ الْحَقِّ زِيَادَاتٍ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْأُخْرَى كَذَلِكَ. وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ مَصْدَرَهُ الْبَغْيِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، لِأَنَّ الْبَغْيَ مُجَاوِزُهُ الْحَدَّ، وَذَكَرَ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ. اهـ.

ومن لم يوافقهم على باطلهم بدعوه:

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في فتاويه ورسائله (ص: ٣٢٧):

وأما الفرق الضالة، فشعارها مفارقة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، واتباع الأهواء، وشرع ما لم يأذن به الله من البدع والآراء الزائفة بناء على أصول وضعوها يوالون عليها ويعادون، فمن وافقهم عليها أثنوا عليه وقربوه، وكان في زعمهم من أهل السنة والجماعة، ومن خالفهم تبرءوا منه ونبذوه، وناصبوه العداوة والبغضاء وربما رموه بالكفر، والخروج من ملة الإسلام لمخالفته لأصولهم الفاسدة.

وذلك سبب الفجور وقلة العدل والانصاف

لأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

وعن محمد بن سيرين أنه كان يرى أن أسرع الناس ردة: أهل الأهواء.

رواه الآجري برقم (٤٧٤)، وهو صحيح.

قد ينحرف الرجل وأنت تظنه على الجادة

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ». وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ فَيَقْيِ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَفَقِطَ، فَتَرَاهُ مُسْتَبْرَأً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ».

وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهَ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أَبَايَعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا.

رواه البخاري برقم (٦٤٩٧) ومسلم برقم (١٤٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

رواه مسلم برقم (٢٦٥٤).

ما بال أهل الهوى لهم محبة شديدة لأهوائهم

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٧٠ / ١٠):

قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: مَا بِالْأَهْلِ الْأَهْوَاءِ لَهُمْ مَحَبَّةٌ شَدِيدَةٌ لِأَهْوَائِهِمْ فَقَالَ أَنْسَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنْ الْكَلَامِ فَعَبَّادُ الْأَصْنَامِ يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَقَالَ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وَقَالَ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، وَلِهَذَا يَمِيلُ هَؤُلَاءِ إِلَى سَمَاعِ الشَّعْرِ وَالْأَصْوَاتِ الَّتِي تُهَيِّجُ الْمَحَبَّةَ الْمُطْلَقَةَ الَّتِي لَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ بَلْ يَشْتَرِكُ فِيهَا مُحِبُّ الرَّحْمَنِ وَمُحِبُّ الْأَوْثَانِ وَمُحِبُّ الصُّلْبَانِ وَمُحِبُّ الْأَوْطَانِ وَمُحِبُّ الْإِخْوَانِ وَمُحِبُّ الْمَرْدَانِ وَمُحِبُّ النِّسْوَانِ.

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَذْوَاقَهُمْ وَمَوَاجِيدَهُمْ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ لِذَلِكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ.

فَالْمُخَالَفُ لِمَا بُعِثَ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ لَا يَكُونُ مُتَّبِعًا لِدِينِ شَرَعَهُ اللَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨]. اهـ

سلام على أهل السنة

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١٨٦/٣):

وَأَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُمَيِّزُونَهَا مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ فَهُمْ غُرَبَاءُ، وَالِدَاعُونَ إِلَيْهَا الصَّابِرُونَ عَلَى أَذَى الْمُخَالَفِينَ هُمْ أَشَدُّ هَوْلًا غُرَبَةً، وَلَكِنَّ هَوْلًا هُمْ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا، فَلَا غُرَبَةَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا غُرَبَتُهُمْ بَيْنَ الْأَكْثَرِينَ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فَأُولَئِكَ هُمُ الْغُرَبَاءُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ، وَغُرَبَتُهُمْ هِيَ الْغُرَبَةُ الْمُوحِشَةُ، وَإِنْ كَانُوا هُمُ الْمَعْرُوفِينَ الْمُشَارِّ إِلَيْهِمْ، كَمَا قِيلَ: فَلَيسَ غَرِيبًا مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ... وَلَكِنَّ مَنْ تَنَأَيْنَ عَنْهُ غَرِيبٌ

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في رسائله وفتاويه (ص ٧١):

وكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزاعاً من القبائل، آحاداً منهم، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم، فكانوا هم الغرباء حقاً، حتى ظهر الإسلام، وانتشرت دعوته، ودخل الناس فيه أفواجا، ثم أخذ في الاغتراب حتى عاد غريباً كما بدأ!

بل الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اليوم أشد منه غربة في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جداً، وأهله غرباء بين الناس.

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات أتباع ورياسات، ومناصب وولايات، لا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ﷺ؟!!

فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات التي هي منتهى فضيلتهم وعلمهم، والشهوات التي هي غاية مقاصدهم وإرادتهم، فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله تعالى على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم، وأطاعوا شيخهم، وأعجبوا منه برأيه؟ انتهى^(١).

قلت: فإذا كان هذا في القرن السابع وما قبله، فما بعده أشد غربة للإسلام والسنة؛ وبسبب اشتداد الغربة أنكر الناس على من قام يدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً.

(١) هو كلام ابن القيم رحمه الله من مدارج السالكين (٣ / ١٨٨).

وجوب لزوم الجماعة والحذر من التفرق والبدع وأهلها

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد».

رواه الآجري^(١) في الشريعة برقم (٥) وأحمد (١/١٨ و٢٦) والترمذي برقم (٢١٦٥) وهو صحيح.

وعن الحارث الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن» وذكر الحديث بطوله، وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله تعالى بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربطة الإسلام من رأسه إلا أن يراجع».

رواه الآجري في الشريعة برقم (٧)، وأحمد (٤/١٣٠) والترمذي (٢٨٦٣ و٢٨٦٤) وهو صحيح.

(١) وإنما قدمت ذكر التخريج في هذه المواضع مع أن حقه التأخير في كثير منها؛ وربما في كتب أعلى منه يغني عن تخرجه من الشريعة لأمرين:

الأول: لأنني نقلت هذه الأحاديث والآثار من مختصر الشريعة، فهي ألفاظه.

الثاني: أن كتاب الشريعة اعتني بهذه المواضيع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة وخالف الطاعة مات ميتة جاهلية، ومن اعترض أمتي برها وفاجرها لا يحتشم من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدا، فليس من أمتي، ومن قتل تحت راية عمية، يغضب للعصبية، ويقاتل للعصبية، ويدعو لعصبة له، ووالى لعصبة مات ميتة جاهلية».

رواه الآجري في الشريعة برقم (٩)، ومسلم برقم (١٨٤٨).

وعبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ يوماً خطاً وقال بأصبعه على الأرض خطة قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمين الخط ويساره، وقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، الخطوط التي عن يمينه ويساره.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢)، وأحمد (٤٣٥ / ١) وهو صحيح.

وعن النواس بن سمعان الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران، بينهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتفرقوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد إنسان فتح شيء من تلك الأبواب قال له: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله، والأبواب: محارم الله تعالى، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم».

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٤)، وأحمد (٤/١٨٢١٨٣) والترمذي (٢٨٥٩)، وابن أبي عاصم (١٨) وهو صحيح.

وعن عبد الله بن مسعود قال: «إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين ينادون: يا عبد الله هلم هذا الصراط ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله هو كتاب الله». رواه الآجري في الشريعة برقم (١٦) وهو صحيح.

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال في خطبته: «يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة». رواه الآجري في الشريعة برقم (١٧)، وابن بطة في الإبانة (١/٢٩٧ برقم ١٣٣) وهو صحيح.

وعن أبي العالية قال: تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي عليها أصحابه، فإننا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء، قال: فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح.

وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: يا بني أحدثت بهذا محمداً؟ قلت: لا، قالت: فحدثه إذن.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٩)، وابن بطة في الإبانة برقم (١٣٦) صحيح.
وعن يوسف بن أسباط قال: أصول البدع أربع:

الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة.

ثم تشعب كل فرقة ثمانى عشرة طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الجماعة التي قال النبي ﷺ: «إنها الناجية».

رواه الآجري في الشريعة برقم (٢٠) وهو حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرق اليهود والنصارى على إحدى، أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

رواه الآجري في الشريعة برقم (٢١)، وأحمد (٣٣٢/٢) وأبو داود برقم (٤٥٩٦)، الترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وابن أبي عاصم برقم (٦٦ و ٦٧) وهو صحيح.

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا السواد الأعظم».

رواه الآجري في الشريعة برقم (٢٧)، وأحمد (١٢٠ و ١٤٥) وابن ماجه (٣٩٩٣) وهو صحيح.

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، أنه قام حين صلى الظهر بالناس بمكة فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة».

رواه الآجري في الشريعة برقم (٢٩)، وأحمد (١٠٢ / ٤)، وأبو داود (٤٥٩٧) والدارمي برقم (٢٥٦) وهو صحيح لغيره.

وعن محمد بن سيرين قال: كانوا يقولون: إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق. رواه الآجري في الشريعة برقم (٣٠) وهو صحيح.

و عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأخذن أمتي بأخذ الأمم والقرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع» قيل: يا رسول الله كما فعلت فارس والروم؟ قال: رسول الله ﷺ: «ومن الناس إلا أولئك؟».

رواه الآجري في الشريعة برقم (٣١)، والبخاري برقم (٧٣١٩).

وعن حذيفة بن اليمان قال: «لتتبعن أثر من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، لا تخطئون طريقتهن ولا تخطئنكم، ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، ويكون أول نقضها الخشوع حتى لا يرى خاشعاً، وحتى يقول أقوام: ذهب النفاق من أمة محمد فما بال الصلوات الخمس؟ لقد ضل من كان قبلنا حتى ما يصلون بينهم أولئك المكذبون بالقدر».

رواه الآجري في الشريعة برقم (٣٥)، وأحمد (٢٥١ / ٥) صحيح لغيره.

صيام الأمان من الزيغ من الفتن

أولاً: الإخلاص لله تعالى :

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِمُرِيٍّ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». روه البخاري برقم (٦٦٨٩) ومسلم (١٩٠٧).

وروى مسلم في صحيحه برقم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ».

ثانياً: الصبر على الحق والأذى فيه:

قال الله جل في علاه: ﴿تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٨):
فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين.

ثالثاً: الثبات على الحق وعدم التقهقر:

من المعلوم أو مما ينبغي أن يعلم أن طريق الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ليس طريقاً مفروشاً بالورود، وعن جنبتيه الرياحين والزهور، بل هو طريق شاق محفوف بالأشواك والمخاطر، ولا يسلك هذا الطريق إلا الأفذاذ من الرجال، وفحول الذكور، كيف لا، وهو طريق خير خلق الله؛ الأنبياء والرسل عليهم صلوات ربي وسلامه.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فهي أفضل وأشرف وظيفة أي: الدعوة إلى الله ، وخير عمل يقوم به المسلم إذا عمل صالحاً. ولذلك يقول الله تعالى بعد آية تلوها: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

فلا يقوم بهذا العمل الشريف إلا من أتاه الله صبراً، وكان عظيم الحظ حتى حصل له هذا الخير.

وإن تكن النفوس كباراً تتعب في مرادها الأجسام

وقال الآخر:

نفس عصام سودت عصامًا وعلمته الكر والإقدام

وصيرته ملكًا همامًا حتى علا وجاوز الأقوام

فإذا سلك الطريق من لا يحسن السير فيها، فترت همته، وضعفت قواه، وتراه يتأرجح، ويرجع القهقري، وحاله كما قيل:

غزلت لهم غزلاً نسيجاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا* وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا* إِذَا لَا ذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا* وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا*﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٦].

فلكثر الأعداء والمتربصين بالدعوة، وكثرة الفتن والمغريات والشهوات والشبهات، يتقهقر بعض الدعاة للوراء خائبًا؛ وذلك من عدل الله وحكمته أنه ليس أهلاً لحمل هذه الدعوة الشريفة، وهذا العمل المبارك.

فبعد أن كان متمسكًا بالكتاب والسنة، حريصًا على فعل السنن، حذرًا من البدع والمخالفات، ترى في وجهه نظرة الصالحين، وفي معاملاته أسلوب الزاهدين، وتسمع في كلماته خطاب الناصحين، تراه بعد ذلك يرجع القهقري شيئًا فشيئًا، حتى يصير مع الضائعين المائعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

رابعاً: عدم الانهزامية:

ينبغي للداعي إلى الله أن يكون شجاعاً مقداماً، لا تشنيه الخطوب على القيام بما أوجب الله عليه، ويكون له أسوة حسنة برسول الله ﷺ لما دعا إلى الله وجميع أهل الأرض بخلافه، وتلقى جميع أنواع الأذى الحسي والمعنوي، وصبر وصابر، ولم ينهزم حتى نصره الله.

ويعجبني موقف للإمام عبدالغني المقدسي رحمه الله لما جمعه الوالي ومخالفه، فقال له: كل هؤلاء على باطل وأنت على حق؟ فقال: نعم. ولذا عرّف بعض السلف الجماعة بقوله: ما وافق الحق، ولو كنت وحدك. فبعضهم يظن الحق بكثرة الأتباع، أو المناصرين، فإذا لم يكن له ذلك سقط وتردى، ورجع القهقري، فمثل هذا ليته كان نسياً منسياً.

خامساً: اجتناب الفهم الخاطيء:

إن مدار هذه الشريعة السمحة، وعمود فقار تبليغها، لمن حسن عمله، وصلحت نيته، هو الفهم الصحيح لمقاصدها، ومعرفة مراد الله سبحانه وتعالى، ومراد رسوله ﷺ لا على مراد غيرهما.

ولذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله: آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله. وآمنت برسول الله ﷺ، على ما جاء عن رسول الله ﷺ، على مراد رسول الله ﷺ. وربنا جل في علاه يقول: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وفي صحيح البخاري برقم (٣١٨٢) ومسلم برقم (١٧٨٥) عن أبي وائل قال: قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ.

فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا».

قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَتَزَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ فَتَحَ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ.

فإذا فهم الداعي إلى الله المسألة فهمًا خاطئًا بسبب قلة أو عدم تحريره للحق والفهم الصحيح، أو لتعجله في هضم المسألة، أو لحداثه عهده بمعرفة المسألة فنتسيها وبقي في ذهنه مفهوم عكس الصواب.

سادساً: عدم التعجل في الأمور:

قال الله جل في علاه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

ويقول ربنا سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

سابعاً: ترك الحسد:

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وروى البخاري في صحيحه برقم (٦٠٦٧) ومسلم برقم (٢٥٥٩) عن أنس بن مالك، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ».

وروى البخاري أيضاً في صحيحه برقم (٦٠٦٦) ومسلم برقم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

فالحسد هو الذي أخرج إبليس عليه لعنة الله من الجنة، بل أعظم من ذلك أنه أخرجه من رحمة الله، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَاذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧١-٧٨].

فكم صد الحسد من أناس عن الإسلام والإيمان، وكم صد أناساً عن اتباع الحق ومتابعته، كونُ فلان هو الداعي له، وكم ترك الحق ممن كان من أهله؛ من أجل حسده لفلان.

والحسد من أوصاف أهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]. ولقد أحسن من قال:

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض بما وهب

فأخزأك ربي بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

ولذلك فأحسن علاج للحسد هو الرضا بالقدر والقناعة بما قسمه الله من قليل أو كثير، وفي صحيح مسلم برقم (١٠٥٤) عن عبدالله بن عمرو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ».

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٤-١٢٥):
والمقصود أن الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال:

ما خلا جسد من حسد لكن اللئيم يبيديه والكريم يخفيه. اهـ
وقد قيل للحسن البصري أيحسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبالك،
ولكن عمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعذبه يداً ولساناً.

فمن وجد في نفسه حسداً لغيره؛ فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه، وكثير من الناس الذين عندهم دينٌ لا يعتدون على المحسود فلا يعينون من ظلمه، ولكنهم أيضاً لا يقومون بما يجب من حقه، بل إذا ذمه أحد لم يوافقوه على ذمه، ولا يذكرون محامده، وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا، وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه، مفرطون في ذلك لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم فلا ينصفون أيضاً في مواضع، ولا ينصرون على من ظلمهم، كما لم ينصروا هذا المحسود وأما من اعتدى بقول أو فعل فذلك يعاقب. انتهى المقصود باختصار.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المحتويات

٣.....	مقدمة.....
٦.....	تتبع أهل الأهواء للمتشابه.....
٨.....	أهل الأهواء أهل خصومات.....
٩.....	أهل الأهواء أصحاب جدل.....
١٣.....	علامات أهل الأهواء.....
٢٠.....	خصومات المبطلين تؤول بأصحابها إلى الهوى.....
٢٢.....	ومن لم يوافقهم على باطلهم بدعوه:.....
٢٢.....	وذلك سبب الفجور وعدم العدل والانصاف.....
٢٣.....	قد ينحرف الرجل وأنت تظنه على الجادة.....
٢٤.....	ما بال أهل الهوى لهم محبة شديدة لأهوائهم.....
٢٥.....	سلامٌ على أهل السنة.....
٢٧.....	وجوب لزوم الجماعة والحذر من التفرق والبدع وأهلها.....
٣٢.....	صمام الأمان من الزيغ من الفتن.....
٤٠.....	المحتويات.....